تفسير إبن كثير

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

ولهذا قال : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) أي : وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة ، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ، كقرصة النقي ، ليس فيها معلم لأحد " .وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : أنا أول الناس سأل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن هذه الآية : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا الله الواحد القهار) قالت : قلت : أين الناس يومئذ يا رسول االله ؟ قال : " على الصراط " .رواه مسلم منفردا به دون البخاري ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث داود بن أبي هند به . وقال الترمذي : حسن صحيح .ورواه أحمد أيضا ، عن عفان ، عن وهيب عن داود ، عن الشعبي ، عنها ولم يذكر مسروقا .وقال قتادة ، عن حسان بن بلال المزني ، عن

عائشة - رضي االله عنها - أنها سألت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن قول االله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) قال : قالت يا رسول االله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : " لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي ، ذاك أن الناس على جسر جهنم .وروى الإمام أحمد من حديث حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، حدثتني عائشة أنها سألت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - عن قوله تعالى : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) [الزمر : 67] فأين الناس يومئذ يا رسول االله ؟ قال : " هم على متن جهنم " .وقال ابن جرير : حدثنا الحسن ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرني القاسم ، سمعت الحسن قال : قالت عائشة : يا رسول االله ، (يوم تبدل الأرض غير الأرض) فأين الناس يومئذ ؟ قال : " إن هذا شيء ما سألني عنه أحد " قال : " على الصراط يا عائشة " .ورواه أحمد ، عن عفان عن القاسم بن الفضل ، عن الحسن به .وقال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثني الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد - يعني : أخاه - أنه سمع أبا سلام ، حدثني أبو أسماء الرحبي أن ثوبان مولى رسول االله - صلى االله عليه وسلم -

حدثه قال : كنت قائما عند رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فجاءه حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول االله ؟! فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ! فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي " . فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أينفعك شيء إن حدثتك ؟ " فقال : أسمع بأذني . فنكت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - بعود معه فقال : " سل " فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " هم في الظلمة دون الجسر " قال فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقال : " [فقراء] المهاجرين " . قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : " زيادة كبد النون " قال : فما غذاؤهم في أثرها ؟ قال : " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها " . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : " من عين فيها تسمى سلسبيلا " . قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ؟ قال : " أينفعك إن حدثتك ؟ " قال : أسمع بأذني .

قال : جئت أسألك عن الولد . قال : " ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن االله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن االله " " قال اليهودي : لقد صدقت ، وإنك لنبي ، ثم انصرف . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني االله به " .[و] قال أبو جعفر بن جرير الطبري : حدثني ابن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : أتى النبي - صلى االله عليه وسلم - حبر من اليهود فقال : أرأيت إذ يقول االله في كتابه : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فأين الخلق عند ذلك ؟ فقال : " أضياف االله ، فلن يعجزهم ما لديه " .ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد االله بن أبي مريم به .وقال شعبة : أخبرنا أبو إسحاق ، سمعت عمرو بن ميمون - وربما قال : قال عبد االله ، وربما لم يقل - فقلت له : عن عبد االله ؟ فقال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال : أرض كالفضة البيضاء نقية ، لم يسفك فيها دم ، ولم يعمل عليها خطيئة ، ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة كما خلقوا . قال : أراه

قال : قياما حتى يلجمهم العرق .وروي من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود بنحوه . وكذا رواه عاصم ، عن زر ، عن ابن مسعود به .وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون لم يخبر به . أورد ذلك كله ابن جرير .وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد االله بن عبيد بن عقيل ، حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب ، حدثنا جرير بن أيوب ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد االله ، عن النبي - صلى االله عليه وسلم - في قول االله - عز وجل - : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال : " أرض بيضاء لم يسقط عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة " . ثم قال : لا نعلم رفعه إلا جرير بن أيوب ، وليس بالقوي .ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سنان عن جابر الجعفي ، عن أبي جبيرة عن زيد قال : أرسل رسول االله - صلى االله عليه وسلم - إلى اليهود فقال : " هل تدرون لم أرسلت إليهم ؟ " قالوا : االله ورسوله أعلم . قال : " أرسلت إليهم أسألهم عن قول االله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) إنها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة " . فلما جاءوا سألهم فقالوا : تكون بيضاء مثل النقي .وهكذا روي عن علي ، وابن عباس ، وأنس بن

مالك ، ومجاهد بن جبر أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة .وعن علي - رضي االله عنه - أنه قال : تصير الأرض فضة ، والسموات ذهبا .وقال الربيع : عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : تصير السموات جنانا .وقال أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أو عن محمد بن قيس في قوله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال : [تبدل] خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم .وكذا روى وكيع ، عن عمر بن بشير الهمداني ، عن سعيد بن جبير في قوله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال : تبدل خبزة بيضاء ، يأكل المؤمن من تحت قدميه .وقال الأعمش ، عن خيثمة قال : قال عبد االله - هو ابن مسعود - : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ، ويلجم الناس العرق ، أو يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب .وقال الأعمش أيضا ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن قال : قال عبد االله : الأرض كلها نار يوم القيامة ، [و] الجنة من ورائها ، ترى أكوابها وكواعبها ، والذي نفس عبد االله بيده ، إن الرجل ليفيض عرقا حتى ترسخ في الأرض قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب . قالوا مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس يلقون .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع

بن أنس ، عن كعب في قوله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) قال : تصير السموات جنانا ، ويصير مكان البحر نارا ، وتبدل الأرض غيرها .وفي الحديث الذي رواه أبو داود : " لا يركب البحر إلا غاز أو حاج أو معتمر ، فإن تحت البحر نارا - أو : تحت النار بحرا " .وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى االله عليه وسلم - أنه قال : " تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ثم يزجر االله الخلق زجرة ، فإذا هم في هذه المبدلة " .وقوله : (وبرزوا الله) أي : خرجت الخلائق جميعها من قبورهم الله (الواحد القهار) أي : الذي قهر كل شيء وغلبه ، ودانت له الرقاب ، وخضعت له الألباب .